مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i2.245

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الطبري من خلال مقدمة تفسيره دراسة تحليلية تطبيقية

الملخص: يتناول هذا البحث منهج تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام محمد بن جرير الطبري من خلال تحليل نصِّ مقدمته، مع دراسة تطبيقية لنماذج مختارة من تفسيره. وتكمن أهمية البحث في إبراز أحد أبرز مناهج التفسير التي تُعنى ببيان القرآن بالقرآن، والكشف عن طبيعة هذا المنهج عند الإمام الطبري، بوصفه من أوائل المفسرين الذين أسَّسوا له تنظيرًا وتطبيقًا. ويهدف البحث إلى بيان الأسس النظرية التي اعتمد عليها الطبري في تفسير القرآن بالقرآن، من خلال استنباط الأصول التفسيرية الواردة في مقدمته، وبيان تطبيقاتها العملية في تفسيره عبر نماذج مختارة تُظهر كيفية ربط الآيات بعضها ببعض في بيان المعاني ورفع الإشكال. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي والمنهج التطبيقي، من خلال تحليل نص مقدمة تفسير الطبري، واستخراج ما تضمنته من أصول تفسيرية، ثم تتبع تطبيقاتها في تفسيره، مع التركيز على أصول: المجمل والمفسر، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ. وتوصل البحث إلى أن الإمام الطبري أسَّس منهجاً متكاملاً يقوم على تفسير القرآن بالقرآن من خلال ربط الآيات بعضها ببعض، وأنه لم يقتصر على الجانب النظري، بل فعَّل هذا المنهج في تفسيره تطبيقًا عمليًا واضحًا، مما يؤكد مكانة تفسيره بوصفه نموذجًا رائدًا في هذا الباب، ويبرز دوره في ترسيخ هذا المنهج في التراث التفسيري.

الكلمات المفتاحية: الإمام الطبري، أصول التفسير، المجمل والمفسر، العام والخاص، الناسخ والمنسوخ، تفسير القرآن بالقرآن.

الباحث:

١- الأستاذ ثناء الله زاهد، محاضر بكلية الشريعة، جامعة ميرويس خان نيكه زابل – افغانستان.

البريد الالكتروني: Sanaullahsirat٧١٦@gmail.com

٢- الدكتور نصر من الله مجاهد، الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة جامعة كابل– أفغانستان.

البريد الالكتروني: nasrafghani@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٢٨ ذو القعدة ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٠ ذو الحجة ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٢٥ ذو الحجة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٨ ذو الحجة ١٤٤٧)

Interpretation of the Quran by the Quran according to Imam Al-Tabari through the Introduction of his Exegesis (An Analytical and Applied Study)

ABSTRACT: This study examines the methodology of interpreting the Qur'an by the Qur'an in the exegesis of Imam al-Tabari through an analytical and applied study of his introduction. The significance of the research lies in highlighting one of the most important approaches of Qur'anic interpretation, which relies on explaining the Qur'an through itself, and in demonstrating how al-Tabari employed this method in his exegesis. The study aims to identify the theoretical foundations upon which al-Tabari based this approach and to analyze its practical applications through selected examples from his Tafsir. The research adopts an analytical and applied methodology by examining the text of al-Tabari's introduction, extracting its interpretive principles, and tracing their applications in his work. The study concludes that al-Tabari established a coherent methodological framework based on linking Qur'anic verses to one another, and that he effectively implemented this approach in his exegesis, making his Tafsir a leading model of interpreting the Qur'an by the Qur'an.

Keywords: Qur'anic interpretation, Al-Tabari, Tafsir methodology, General and specific, Abrogation, Concise and explained.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد. يُعَدُّ تفسيرُ القرآن بالقرآن من أهمِّ مناهج التفسير وأوثقها عند العلماء، إذ يُنظر إلى القرآن الكريم باعتباره أصدقَ مصدرٍ لبيان معانيه وتوضيح دلالاته، حيث يُفسِّر بعضُه بعضًا، وتتكامل آياته في بيان مراد الله تعالى غير أنَّ منهج الإمام محمد بن جرير الطبري في هذا الباب لم يُقدَّم في مقدمة تفسيره بصورة نظرية مستقلة ومفصَّلة، بل ورد ضمن جملةٍ من الأصول التفسيرية المتفرقة في مقدمته وفي تفسيره. وهذا يجعل من الضروري جمع هذه الأصول وتحليلها، للكشف عن طبيعة توظيفه لتفسير القرآن بالقرآن، ومدى اعتماده عليه كمنهج تفسيري قائم بذاته.

وعليه، فتتمحور إشكالية هذا البحث حول بيان كيفية توظيف الإمام الطبري لهذا الأصل التفسيري، من خلال تتبع أصوله النظرية وتطبيقاته العملية، وبيان مدى انسجامها مع مفهوم تفسير القرآن بالقرآن، ودرجة حضوره في بنية تفسيره ومنهجه العام.

مشكلة البحث:

على الرغم من أن تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري يُعدُّ من أقدم وأهم مصادر التفسير بالمأثور، إلا أن منهجه في تفسير القرآن بالقرآن لم يحظ، في حدود ما اطلعنا عليه، بدراسة تحليلية تطبيقية تُعنى باستنباط أصوله من مقدمته، وتكشف عن كيفية توظيفها في تفسيره. وتكمن المشكلة الأساسية في أن هذه الأصول وردت عند الطبري في سياق عام دون تفصيل منهجي مستقل يبيّن كيف تتجسد عمليًا في تفسيره، مما يثير تساؤلات حول طبيعة هذا المنهج وحدوده، ومن هذه التساؤلات:

١. هل ذكر الإمام الطبري تفسير القرآن بالقرآن في مقدمة تفسيره كأصل منهجي واضح ومقصود، أم أنه مجرد تطبيقات متفرقة ضمن منهجه العام في التفسير؟

٢. وكيف وظّف الإمام الطبري الأصول التفسيرية كالمجمل والمفسر، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، في تفسيره للقرآن بالقرآن؟

٣. وهل يمكن اعتبار مقدمة تفسيره إطارًا نظريًا متكاملًا لهذا المنهج، أم أنها إشارات عامة تحتاج إلى تحليل وتفكيك؟

ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة تحليلية تطبيقية تُظهر منهج الإمام الطبري من خلال مقدمة تفسيره وتطبيقاته العملية في ثنايا تفسيره الكبير.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، الذي يُعَدّ من أوثق طرائق التفسير، لاعتماده على بيان القرآن بالقرآن، بما يحقّق فهمًا أدقّ لمعانيه. كما تبرز أهميته في دراسة هذا المنهج من خلال تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، أحد أبرز مصادر التفسير بالمأثور، لما يتضمنه من تطبيقات واسعة وربطٍ دقيق بين الآيات.

وتتجلى أهمية الدراسة كذلك في تحليل مقدمة تفسير الإمام الطبري لاستخراج أصوله التفسيرية، وربطها بتطبيقاته العملية، بما يبرز منهجه في صورة متكاملة تجمع بين الجانب النظري والتطبيقي. ويسهم البحث في سدّ جانبٍ من النقص في الدراسات التي لم تُفرد هذا المنهج عند الطبري بدراسة تحليلية تطبيقية مستقلة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١. الكشف عن منهج الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسير القرآن بالقرآن من خلال تحليل مقدمته، واستخراج أصوله التفسيرية وبيان دلالاتها المنهجية.

٢. دراسة تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الإمام الطبري من خلال نماذج مختارة، وبيان كيفية توظيفه الآيات بعضها ببعض.

٣. تحليل الخصائص المنهجية لتفسير الطبري في الجمع بين الجانب النظري والتطبيقي في تفسير القرآن بالقرآن.

٤. إبراز مكانة تفسير الطبري في ترسيخ منهج تفسير القرآن بالقرآن في التراث التفسيري.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع تفسير القرآن بالقرآن بعناية عدد من الباحثين، حيث تناولته دراسات متعددة ضمن مباحث علوم القرآن ومناهج المفسرين، كما أُفردت بعض الدراسات للحديث عن منهج الإمام محمد بن جرير الطبري في التفسير بوجه عام. ومن ذلك دراسة «منهج الإمام الطبري في التفسير» للباحث محمد سامي محمد علي، التي ركزت على بيان معالم منهجه العام في التفسير، كاعتماده على الرواية والترجيح بين الأقوال، غير أنها لم تُفرد دراسة تحليلية مستقلة لمنهج تفسير القرآن بالقرآن عنده، ولم تربط بين أصوله التفسيرية وتطبيقاته العملية.

كما تناولت دراسة محمد قجوي في كتابه «تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تاريخية ونظرية» هذا المنهج من حيث تأصيله التاريخي والنظري، مع بيان مكانته بين طرق التفسير، إلا أنها لم تتوسع في تطبيقاته عند الإمام الطبري، ولا في تحليل مقدمته بوصفها مدخلًا منهجيًا.

دراسة محسن بن حامد المطيري (تفسير القرآن بالقرآن: تأصيل وتقويم) تناولت هذا المنهج من زاوية تأصيلية ونقدية، مبينةً أصوله ومكانته في الدراسات التفسيرية المعاصرة، إلا أنها لم تتوسع في تتبع تطبيقاته عند الإمام الطبري بصورة تفصيلية، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته.

ومع ما لهذه الدراسات من قيمة علمية، إلا أنها غالبًا ما اتسمت بالعرض العام أو التركيز على الجانب النظري، دون الربط الدقيق بين الأصول التفسيرية التي ذكرها الطبري في مقدمته وبين تطبيقاته في تفسيره. ومن هنا تتميز هذه الدراسة بأنها تسعى إلى سدّ هذا

النقص من خلال تحليل مقدمة الإمام الطبري لاستخراج أصول تفسير القرآن بالقرآن عنده، ثم تتبع تطبيقاتها في تفسيره، بما يبرز هذا المنهج في صورته النظرية والتطبيقية معًا.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي والمنهج التطبيقي. فقد استُخدم المنهج التحليلي في دراسة هذه الأصول وبيان دلالاتها المنهجية، كما وظّف المنهج التطبيقي في تتبع نماذج من تفسير الطبري لبيان كيفية تطبيقه لهذه الأصول في تفسير القرآن بالقرآن.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث، أهمية البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: ويتضمن تعريف تفسير القرآن بالقرآن، وبيان أهميته، ومصادره.

المبحث الأول: الإمام الطبري وتفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). وفيه مطلبان:

المبحث الثاني: الأسس النظرية لتفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الطبري. وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثالث: التطبيقات التفسيرية لتفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الطبري. وفيه ثلاثة مطالب:

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولا: تعريف تفسير القرآن بالقرآن:

لقد عرّف بعض المعاصرين تفسير القرآن بالقرآن بقوله: "هو ربط الآيات المتشابهة لفظها أو معناها بعضها ببعض وتفسير بعضها ببعض"[١]. وذكر غيره أنه يقصد بتفسير القرآن بالقرآن: "بيان معاني القرآن بالقرآن، فكل بيان للقرآن استفدناه من القرآن فهو من تفسير القرآن بالقرآن، سواء كان بيان معنى مفردة أو جملة أو قصة أو تبيين مجمل أو تخصيص عام أو غير ذلك"[٢].

١ محمد قجوي، ٢٠١٥م، تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تاريخية نظرية، رسالة دكتوراه، (د. ط)، الرباط: جامعة محمد الخامس، ص: ٢.

٢ محمد بن سريع السريع، ٢٠٢٢م، التحبير شرح التمهير في أصول التفسير، ط: ١، دار الحضارة، ص: ٣١.

ثانيا: أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

لا شك أن أصدق تفسير لكتاب الله هو كلام الله، لأنه صادر من المتكلم به، فقائل الكلام أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، فإذا تبين مراد القرآن من القرآن فلا يعدل عنه إلى غيره، وقد ذكر الشنقيطي إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا[١].

وهذا معلوم في اللغة والعرف والشرع، بل إن بعض القرآن متوقف فهمه التام على بيان القرآن نفسه، كما قرر ذلك الشاطبي –رحمه الله– حيث قال مبيناً أهميته: إن بعضه آي القرآن يبين بعضه، حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير مواضع أخرى أو سورة أخرى[٢].

ومن هنا يعتبر تفسير القرآن بالقرآن أحد أنواع التفسير بالمأثور، ويعد بعض العلماء تفسير القرآن بالقران أول الطرق التي يلجأ إليها المفسر وأنه أبلغ التفاسير[٣]. وهو أجلُّ طرقِ التَّفسيرِ وأحسنُها كما صرَّح بذلك جماعات من أهل العلم، قال الفراهي: أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف أن القرآن يفسر بعضه بعضًا ، وأنه هو أوثق تعويلًا و أحسن تأويلًا[٤]. ويقول أحد العلماء: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر[٥].

ثالثا: مصادر تفسير القرآن بالقرآن:

عند التأمل يظهر أن لتفسير القرآن بالقرآن أربعة مصادر هي:

الأول: التفسير النبوي:

لقد نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من التفسير، فكان أحيانًا يستعمل هذا الطريق فيفسر آية بآية أخرى أو يشير إليها، وهذا النوع أعلى مصادر تفسير القرآن بالقرآن. ومن أمثلته:

---

١ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ١٩٩٥م، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر، ١: ٨.

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ١٩٩٧م، الموافقات، ط: ١، بيروت: دار ابن عفان، ٣: ٢٥٤. بتصرف يسير.

٣ محمد بن أبي بكر الجوزية، (د. ت)، التبيان في أقسام القرآن، (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، ص: ١٨٧.

٤ محسن بن حامد المطيري، ٢٠١١م، تفسير القرآن بالقرآن: تأصيل وتقويم، ط: ١، الرياض: دار التدمرية، ص: ٥٢.

٥ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ١٩٨٠م، مقدمة في أصول التفسير، (د. ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص: ٣٩.

١. حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– حيث قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[١]. شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[٢] [٣].

قال الزركشي رحمه الله: فحمل النبي صلى الله عليه وسلم الظلم هاهنا على الشرك لمقابلته بالإيمان واستأنس عليه بقول لقمان[٤]. وقال ابن حجر رحمه الله: وظاهر هذا أن الآية التي في لقمان كانت معلومة عندهم، ولذلك نبّههم عليها، ويحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها عليهم ثم نبّههم[٥]. واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الطريق، وإن كان قليلًا، يكسبه التأصيل العلمي، ويجعله من أهم مصادر تفسير القرآن.

الثاني: تفسير الصحابة:

نُقل عن الصحابة الكرام من ذلك الكثير، وهم في المرتبة الثانية، ومن أمثلته:

١. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[٦]. قال: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.[٧] ، قال: ضرباءهم[٨].

الثالث: التابعون وأتباعهم:

وقد ورد عن التابعين وأتباعهم أيضاً من ذلك الشيء الكثير، وهم في المرتبة الثالثة، ونكتفي بالمثال التالي:

---

١ سورة الانعام، الآية: ٨٢.

٢ سورة لقمان، الآية: ١٣.

٣ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ط: ٥، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ٤: ١٧٩٣ ، رقم: ٤٤٩٨.

٤ محمد بن عبد الله الزركشي، ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، ط: ١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ٢: ١٨٤–١٨٥.

٥ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (د. ت)، فتح الباري بشرح البخاري، (د. ط)، مصر: المكتبة السلفية، ١: ٨٨.

٦ سورة التكوير، الآية: ٧.

٧ سورة الصافات، الآية: ٢٢.

٨ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤: ٢٤٤.

١. عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١]. قال: الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه. قال مجاهد: وهي مثل الآية التي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢][٣].

الرابع: المدوّنون في التفسير الذين اعتمدوا هذا الطريق:

كثير من كتب التفسير اعتمدت هذا الطريق فمن مقلّ ومن مكثر، ونشير هنا إلى أشهر من اعتمده وأكثر منه، وقد كان ذلك على طريقتين:

الأولى: الاهتمام والعناية به ضمن تفسيره:

ومن أشهرهم: تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم. ولذا قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير لاختصار تفسير ابن كثير: حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير، الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها وهي تفسير القرآن بالقرآن، فلم أحذف شيئًا مما قاله المؤلف الإمام في ذلك[٤].

الثانية: إفراده بالتأليف في تفسير القرآن بالقرآن:

ومنهم:

١. إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، واسم كتابه: مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن.

٢. محمد الأمين الشنقيطي في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وهو أشهر كتاب في تفسير القرآن بالقرآن، وقد وضع مقدمة نافعة ذكر فيها جملة من أنواع بيان القرآن بالقرآن.

٣. تفسير القرآن بكلام الرحمن للشيخ ثناء الله الهندي.

وقبل الشروع في بيان موضوع البحث، يجدر بنا تقديم لمحة موجزة عن الإمام محمد بن جرير الطبرى –رحمه الله– وتفسيره.

---

١ سورة المطففين، الآية: ١٤.

٢ سورة البقرة، الآية: ٨١.

٣ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤: ٢٨٩.

٤ أحمد بن محمد شاكر، ٢٠٠٥م، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (د. ط)، القاهرة: دار الوفاء، ١: ١٠.

المبحث الأول: الإمام الطبري وتفسيره:

المطلب الأول: نبذة عن حياة الإمام الطبري:

اسمه ونسبه ونشأته: هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، وُلد بمدينة آمُل من إقليم طبرستان، وهي من أشهر مدنه. وقد كان مولده في أواخر سنة (٢٢٤هـ) أو أوائل سنة (٢٢٥هـ)[١].

مذهبه الفقهي: تفقَّه الإمام الطبري على مذهب الشافعية، فأخذ الفقه عن عدد من كبار أصحابه، منهم الربيع المرادي والحسن الزعفراني، حتى عُدَّ من كبار علماء هذا المذهب. ثم بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، واستقلَّ بمذهب فقهي خاص به، غير أن هذا المذهب لم يكتب له الاستمرار، لتفرّق أصحابه واندثار كثير من مصنفاته[٢].

ثناء العلماء عليه: لقد أثنى العلماء على الإمام محمد بن جرير الطبرى ثناءً بالغًا، وبيّنوا مكانته العلمية الرفيعة وإمامته في التفسير وسائر العلوم الإسلامية، ومن الذين أثنوا عليه:

الخطيب البغدادي حيث قال في حقه: إنه من الأئمة الكبار الذين يُرجع إلى قولهم ويُعتمد على آرائهم، لما جمع من العلوم والفضائل ما لم يجتمع لغيره في عصره، فقد كان حافظًا للقرآن، عارفًا بالقراءات، متبحرًا في معانيه، فقيهًا في أحكام القرآن، متمكنًا في الحديث وطرقه، مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا بالناسخ والمنسوخ، مطلعًا على أقوال الصحابة والتابعين وأخبار الأمم وتواريخها[٣].

وقال الإمام الذهبي: كان أبو جعفر الطبري إمامًا مجتهدًا، وعالمًا فريدًا في عصره، من نوادر العلماء، جمع بين سعة العلم وحدة الذكاء وكثرة التصنيف، حتى قلّ أن يُرى له نظير في زمانه[٤].

وفاته: توفي الإمام محمد بن جرير الطبرى في شوال سنة (٣١٠هـ)، وقد ذكر القاضي ابن كامل أنه دُفن في داره، ولم يُغيّر شيبه حتى وفاته رحمه الله.

ونُقل أنه لم يُعلن عن وفاته إعلانًا رسميًا، ومع ذلك اجتمع على جنازته خلقٌ كثير لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى. واستمر الناس بعد دفنه يترددون على قبره مدةً طويلة للصلاة عليه والدعاء له والاستغفار، كما حزن لوفاته عدد كبير من أهل العلم والأدب، وأثنوا عليه وذكروا مناقبه ومكانته العلمية[٥].

---

١ عبد الوهاب بن علي السبكي، ١٩٩٢م، طبقات الشافعية الكبرى، ط: ٢، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ٣: ١٢٠.

٢ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ابن الصلاح، (د. ت)، طبقات الفقهاء الشافعية، ط: ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١: ١٠٧.

٣ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ٢٠٠٢م، تاريخ بغداد، ط: ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢: ١٦١.

٤ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (د. ت)، سير أعلام النبلاء، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤: ٢٦٧.

٥ ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ١: ١١١.

المطلب الثاني: نبذة عن تفسيره (جامع البيان عن تاويل آي القرآن):

يعتبر تفسير ابن جرير الطبري من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان فى الوقت نفسه يُعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلى، والبحث الحرّ الدقيق.

ويقع تفسير ابن جرير فى ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يكاد يُعتبر مفقوداً لا وجود له، ثم قدَّر الله له الظهور والتداول، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية فى الشرق والغرب أن وُجِدَت فى حيازة أمير "حائل" الأمير حمود ابن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب، طُبِع عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت فى يدنا دائرة معارف غنية فى التفسير المأثور[١].

ألّف الإمام الطبري تفسيره بعد أن تقدم به العمر، وقد قارب الستين، و ذلك بعد أن استكمل المؤهلات العلمية الضرورية للتفسير؛ فحفظ القرآن وأتقن قراءاته، وعرف الصحيح منها والشاذ، وصار إمامًا فيها، كما جمع أقوال الصحابة والتابعين، واطلع على التفاسير المأثورة واللغوية. وكان عالمًا بالحديث، واللغة العربية وعلومها، والفقه حتى بلغ رتبة الاجتهاد، إضافة إلى علمه بالعقيدة والتاريخ والسيرة، وما وهبه الله من ذكاء وفطنة مكّنته من الاستنباط والاستدلال.

وبعد أن تزود بهذه المؤهلات، أقبل على تفسير القرآن، فكان تفسيره من أعظم التفاسير وأجلّها. وقد استخار الله تعالى في تأليفه، وسأله العون عليه ثلاث سنوات قبل الشروع فيه، ثم شرع في تفسيره بعد أن شرح الله صدره لذلك[٢].

أطلق الطبري على تفسيره اسم: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وهذا الاسم دال على طبيعة تفسيره ومنهجه فيه، وهدفه منه. إذ أراد الطبري من تفسيره أن يكون جامعا لوجوه البيان في تفسير القرآن، وجامعا لأقوال العلماء، وآراء المجتهدين، واجتهاد الصحابة والتابعين، في المأثور والمنقول، وفي الرأي والمعقول. وأراد من تفسيره أن يكون فيه تأويل آيات القرآن بعد تفسيرها، وأن يكون فيه ترجيح الراجح من الأقوال المأثورة، واستنباط الصحيح من الدلالات والاستدلال له[٣].

شرع الإمام الطبري في كتابة تفسيره سنة: ٣٨٣هـ، وكان عمره حوالي ستين عاما، وألفه في ثماني سنوات، حيث أتمه سنة: ٢٩٠هـ. سأل الإمام محمد بن خزيمة تلميذ الطبري أبا بكر بن بالويه: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قال: بلى، كتبته عنه إملاء! قال ابن خزيمة: كله؟ قال ابن بالويه: نعم. قال ابن خزيمة: في أي سنة ؟ قال ابن بالويه: من سنة ثلاث وثمانين، إلى سنة

---

١ محمد السيد حسين الذهبي، (د. ت)، التفسير والمفسرون، (د. ط)، القاهرة: مكتبة وهبة، ١: ١٤٩.

٢ محمد الزحيلي، ١٤٢٠هـ، الإمام الطبري، دمشق: دار القلم، ١: ٩٤–٩٥.

٣ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ٢٠٠٨م، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط: ٣، دمشق: دار القلم، ١: ٣٥٠.

تسعين ومئتين! فاستعار ابن خزيمة التفسير من ابن بالويه، وبعد أن قرأه ردّه إليه وقال له: لقد نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير[١].

وبعد هذه الإشارة الموجزة إلى الإمام الطبري وتفسيره، يجدر بنا الوقوف على منهجه في تفسير القرآن بالقرآن، من خلال تحليل ما أشار إليه في مقدمة تفسيره، ثم نتتبع تطبيقاته في ثنايا تفسيره. وبالله التوفيق.

المبحث الثاني: الأسس النظرية لتفسير القرآن بالقرآن عند الإمام محمد بن جرير الطبرى:

وقبل الخوض في تحليل منهج الإمام محمد بن جرير الطبرى في تفسير القرآن بالقرآن، يحسن بنا أن نورد نصَّ مقدمته التي تضمَّنت جملةً من الأصول التفسيرية التي يقوم عليها منهجه.

قال الامام الطبري في مقدمة تفسيره: اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في مُحْكَمه ومُتَشابهه، وحلاله وحرامه، وعامِّه وخاصِّه، ومجمَله ومفسَّره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آية وتفسير مُشْكِله، وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه[٢].

يدلُّ هذا النص على أن الإمام الطبري يؤسس جملة من الأصول التفسيرية التي يقوم عليها فهمُ القرآن، ويبرز من خلالها فكرة تفسير القرآن بالقرآن القائم على ربط الآيات بعضها ببعض. وتتجلى أهمية هذه الأصول في أن المقصود بالبحث ليس جميع ما ذكره الطبري، بل ما يظهر فيه هذا المنهج بوضوح، وأهمها: المجمل والمفسر، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ.

ومن خلال التأمل في هذه الأصول يتضح أن منهجه يقوم على ردِّ الآيات بعضها إلى بعض، بما يكشف تكامل الدلالة القرآنية ويؤكد وحدة النص، وهو جوهر تفسير القرآن بالقرآن. وفيما يأتي عرضٌ لهذه الأصول:

المطلب الأول: المجمل والمفسر:

يُعَدُّ أصلُ المجمل والمفسر من أوضح الأصول الدالة على تفسير القرآن بالقرآن، إذ يعتمد على بيان المجمل بما ورد تفصيله في موضع آخر من القرآن الكريم، فيُحمل المبهم على المبيَّن، ويُفسَّر المجمل بالمفصَّل.

تعريف المجمل والمفسر:

لقد ذكر السيوطي رحمه الله في تعريف المجمل والمفسر ما يلي:

---

١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤: ٢٧٢.

٢ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (د. ت)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (د. ط)، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١: ٦.

١– المجمل: "المجمل هو ما لم تتضح دلالته"،[١] ثم قال: وهو واقع في القرآن خلافا لداود الظاهري، .... وللإجمال أسباب: منها الاشتراك نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[٢]. فإنه موضوع لأقْبَلَ وأَدْبَرَ، ومنها: الحذف نحو: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[٣] .يحتمل "في" و"عن" ومنها: اختلاف مرجع الضمير نحو: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[٤]. يحتمل عود ضمير الفاعل في "يرفعه" إلى ما عاد عليه ضمير "إليه" وهو الله ويحتمل عوده إلى العمل والمعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب، أي: إن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان، وقد ذكر العلماء أسباباً أخرى للإجمال مثل التقديم والتأخير، وغرابة اللفظ، وغيرها مما يطول ذكره[٥].

٢– المفسر: (وهو ما يُعرف في كتب الأصول وعلوم القرآن بالمبيّن)، المبيّن: يقابل المجمل، فالمبيّن هو: "اللفظ الدال بالوضع على معنى؛ إما بالأصالة، وإما بعد البيان". وقد يراد به الخطاب المستغني بنفسه عن البيان، وقد يراد به ما يحتاج إلى البيان عند وروده عليه، كالمجمل وغيره[٦].

ونصَّ الإمام محمد بن جرير الطبرى في مقدمته على هذا الأصل بقوله: «ومجمله ومفسَّره»،[٧] وهو نصٌّ صريح يدل على أن فهم بعض الآيات لا يكتمل إلا بالرجوع إلى آيات أخرى تُبيّنها وتكشف عن مرادها.

ويُظهر هذا الأصل أن القرآن الكريم يشتمل على آيات تحتاج في بيانها إلى غيرها من الآيات، مما يؤكد وحدة البناء الدلالي للقرآن، وأنه يفسِّر بعضه بعضًا دون تعارض أو تناقض. ومن هنا كان هذا الأصل من أقوى مظاهر تفسير القرآن بالقرآن.

وسيأتي بيان التطبيقات التفسيرية لهذا الأصل من خلال تفسير الإمام الطبري في المبحث الثاني.

المطلب الثاني: العام والخاص:

يُعتبر العام والخاص من الأصول التفسيرية المهمة التي يتجلى فيها تفسير القرآن بالقرآن، إذ يَرِدُ الحكم في بعض الآيات بصيغة عامة، ثم تأتي آيات أخرى تُخصِّص هذا العموم وتُبيّن حدوده.

---

١ عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، ١٩٧٤م، الإتقان في علوم القرآن، ط: ١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٣: ٥٩–٦٠.

٢ سورة التكوير، الآية: ١٧.

٣ سورة النساء، الآية: ١٢٧.

٤ سورة فاطر، الآية: ١٠.

٥ انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣: ٥٩–٦٠.

٦ سليمان بن عبد القوي الطوفي، ١٩٨٧م، شرح مختصر الروضة، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢: ٦٧٢.

٧ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٦.

تعريف العام والخاص:

١– العام: "لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر"[١]. وقد اختلف العلماء في معنى العموم، أله في اللغة صيغة موضوعة خاصة به تدل عليه أم لا؟ فذهب أكثر العلماء إلى أن هناك صيغًا وُضِعت في اللغة للدلالة حقيقة على العموم، وتُستعمل مجازًا فيما عداه[٢].

٢– الخاص: يقابل العام، فهو: "الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر". والتخصيص: هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام، والمخصص: إما متصل: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، وإما منفصل: وهو بخلافه[٣].

وقد أشار الإمام محمد بن جرير الطبرى إلى هذا الأصل في مقدمته بقوله: «وعامِّه وخاصِّه»، [٤] مما يدل على إدراكه أن العموم في القرآن لا يُفهم على إطلاقه دائمًا، بل قد يُقيَّد أو يُخصَّص بآيات أخرى.

ويُبرز هذا الأصل جانبًا مهمًّا من تكامل النص القرآني، حيث تتعاون الآيات في بيان الأحكام والمعاني، فيُفسِّر بعضها بعضًا من خلال التخصيص والتقييد، وهو ما يُعد من أبرز صور تفسير القرآن بالقرآن.

وسيأتي بيان التطبيقات التفسيرية لهذا الأصل في المبحث الثاني.

المطلب الثالث: الناسخ والمنسوخ:

يُشكل الناسخ والمنسوخ أحد الأصول التي تُظهر العلاقة التشريعية بين آيات القرآن الكريم، إذ تُبيّن بعض الآيات ما نُسخ حكمه من آيات أخرى، فيُفهم الحكم النهائي من خلال هذا الترابط.

تعريف الناسخ والمنسوخ:

النسخ لغة: يُطلق بمعنى الإزالة، ومنه يقال: نسخت الشمس الظل: أي أزالته. ونسخت الريح أثر المشي. ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه. وفي القرآن: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥]. والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف. والنسخ في الاصطلاح: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي[٦]. ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: ﴿مَا

---

١ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣: ٥٩–٦٠.

٢ انظر: مناع بن خليل القطان، ٢٠٠٠م، مباحث في علوم القرآن، ط: ٣، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص: ٢٢٦.

٣ المرجع السابق، ص: ٢٣٢.

٤ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٦.

٥ سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

٦ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: ٣، مصر، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ٢: ١٧٦.

نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾.[١]، وعلى الآية وما يُعرف به النسخ، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر. والمنسوخ هو الحكم المرتفع[٢].

وذكر الإمام محمد بن جرير الطبرى هذا الأصل في مقدمته بقوله: «وناسخه ومنسوخه»، [٣] مما يدل على وعيه بأن فهم الأحكام القرآنية يقتضي النظر في مجموع الآيات المتعلقة بالمسألة، ومعرفة ما طرأ عليها من نسخ أو بيان.

ويُعَدُّ هذا الأصل من صور تفسير القرآن بالقرآن، حيث تُفسِّر الآيات الناسخة الآيات المنسوخة، وتُبيِّن الحكم المستقر، مما يعكس ترابط التشريع القرآني وتدرُّجه.

وسيأتي بيان التطبيقات التفسيرية لهذا الأصل في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: التطبيقات التفسيرية لتفسير القرآن بالقرآن عند الإمام محمد بن جرير الطبري من خلال تفسيره:

بعد استعراض الأصول النظرية التي يقوم عليها تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام محمد بن جرير الطبرى، يأتي هذا المبحث لبيان تطبيقات هذا المنهج في تفسيره، من خلال أمثلة عملية تُبرز مدى اعتماده على تفسير الآيات بعضها ببعض.

المطلب الاول: تطبيق تفسير المجمل بالمفسر عند الإمام ابن جرير الطبري:

يعتبر تفسيرُ المجمل بالمفسر من أبرز تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام محمد بن جرير الطبري، حيث يُبيِّن الآيات المجملة بما ورد تفسيره في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

المثال الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[٤] نقل الإمام محمد بن جرير الطبرى عن جماعة من السلف، منهم مجاهد وقتادة وابن زيد، أن المراد بهذه الكلمات هو قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [٥] [٦].

يتبين من هذا الأثر أن لفظ (الكلمات) في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ جاء مجملًا، إذ لم يُبيَّن في هذا الموضع المراد بهذه الكلمات ولا حقيقتها. غير أن هذا الإجمال قد زال ببيانٍ قرآنيٍّ في موضعٍ آخر، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَا أَنفُسَنَا...﴾،

---

١ سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

٢ القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: ٢٣٧–٢٣٨.

٣ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٦.

٤ سورة البقرة، الآية: ٣٧.

٥ سورة الاعراف، الآية: ٢٣.

٦ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٥٤٢–٥٤٥، بتصرف.

حيث فسَّر مضمون تلك الكلمات ووضح معناها. وقد رجّح الإمام محمد بن جرير الطبرى هذا التفسير اعتمادًا على تفسير القرآن بالقرآن، مما يدل على منهجه في حمل المجمل على المبيَّن. ويكشف هذا المثال عن وحدة السياق القرآني، وترابط آياته في بيان المعاني ورفع الإبهام.

المثال الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾[١]. قال الإمام محمد بن جرير الطبرى: «أوفوا بعهدكم»: وعهدُه إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢] [٣].

يظهر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى أن لفظ (العهد) في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ ورد مجملًا من غير بيان حقيقته وتفصيله، إلا أن هذا الإجمال قد فُسِّر في موضعٍ آخر من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ.. ﴾، حيث بيَّنت الآية مضمون العهد من جهة التكاليف والجزاء. وقد اعتمد الإمام الطبري هذا المسلك في التفسير، فحمل المجمل على ما ورد بيانه في موضعٍ آخر، مما يبرز منهجه في تفسير القرآن بالقرآن. ويؤكد هذا المثال تكامل الدلالة القرآنية، وأن بعض الآيات لا يُفهم معناها على وجه التمام إلا بالرجوع إلى غيرها.

المطلب الثاني: تطبيق تفسير العام على الخاص عند الإمام ابن جرير الطبري:

ويُعدُّ هذا المطلب من تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام ابن جرير الطبري، حيث يُبيَّن فيه العام والخاص من خلال آيات القرآن الكريم، وبيان كيفية تخصيص العام بدليل قرآني آخر.

المثال الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[٤]. قال الإمام ابن جرير الطبري: إن قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ معناه الاحتباس عن الأزواج والزينة والنقلة عن المسكن مدة أربعة أشهر وعشرًا، إلا أن تكون المرأة حاملاً، فإن عدتها تنتهي بوضع الحمل. وقد نقل الطبري عن جماعة من أهل التأويل، منهم ابن عباس وابن شهاب

١ سورة البقرة، الآية: ٤٠.

٢ سورة المائده، الآية: ١٢.

٣ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١: ٥٥٧.

٤ سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

الزهري، أن هذه الآية عامة في حكم عدة المتوفى عنها زوجها، إلا أن الحامل خُصَّت من هذا العموم، فعدتها تنقضي بوضع الحمل، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾[١] [٢].

يتضح من كلام الإمام محمد بن جرير الطبري أن قوله تعالى في سورة البقرة جاء عامًا في بيان عدة المتوفى عنها زوجها، فجعلها أربعة أشهر وعشرًا، ثم جاء التخصيص في آية الطلاق، حيث استُثنيت الحامل فجُعلت عدتها بوضع الحمل. وعليه، فإن هذا الموضع يُعدُّ من أوضح تطبيقات تفسير العام بالخاص في القرآن الكريم، حيث حُمل اللفظ العام على عمومه، ثم خُصِّص بدليل قرآني آخر يرفع الإشكال ويبيّن الحكم بدقة.

المثال الثاني: يدل قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾[٣].على عموم الإباحة في النكاح، غير أن هذا العموم غير مراد على إطلاقه، بل هو عام مخصوص بما ورد في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾[٤].حيث أُخرجت المحرمات المذكورة من حكم الإباحة العام.

وقد بيّن الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري هذا المعنى بقوله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما نحن مبيّنوه. وهو أن الله جل ثناؤه بيَّن لعباده المحرَّمات بالنسب والصهر، ثم المحرمات من المحصنات من النساء، ثم أخبرهم جل ثناؤه أنه قد أحلّ لهم ما عدا هؤلاء المحرَّمات المبيَّنات في هاتين الآيتين، أن يبتغوه بأموالهم نكاحًا وملك يمين، لا سفاحًا[٥].

ويظهر من هذا النص أن الإمام الطبري رتّب الحكم على مرحلتين واضحتين: أولاهما بيان المحرمات على وجه التفصيل، وثانيتهما إيراد الإباحة العامة مقيدة بما سبق بيانه، مما يدل على أن العموم في الآية الثانية ليس مطلقًا، بل مخصوص بالمذكور في الآية السابقة. وبذلك يكون هذا الموضع من قبيل العام المخصوص، إلا أن التخصيص فيه جاء بالبيان المتقدم لا بدليل لاحق، وهو ما يعبر عنه الأصوليون بتخصيص العام بالمذكور قبله.

المطلب الثالث: تطبيق تفسير الناسخ والمنسوخ عند الإمام ابن جرير الطبري:

يُعدّ النسخ من الموضوعات المهمة في علوم القرآن، وقد أولاه الإمام محمد بن جرير الطبرى عنايةً خاصة في تفسيره، حيث بيّن مواضع الناسخ والمنسوخ ووجّه دلالاتها، وفي هذا المطلب نعرض تطبيقاته في تفسير القرآن الكريم.

---

١ سورة الطلاق، الآية: ٤.

٢ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣: ٧٩–٨٠.

٣ سورة النساء، الآية: ٢٤.

٤ سورة النساء، الآية: ٢٣.

٥ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨: ١٧٢.

المثال الأول: ومن أمثلة النسخ في تفسير الإمام الطبري ما نقله عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[١]. أنه قال: فأتى الله بأمره، فقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[٢]. أي صغارًا ونقمةً لهم. فقال قتادة: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾[٣].

يتبين من هذا التفسير أن الحكم الوارد في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ كان في مرحلةٍ سابقة من التشريع، حيث أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر والعفو. غير أن هذا الحكم لم يبقَ على إطلاقه، بل رُفع بحكمٍ لاحقٍ وهو آية القتال، التي نقلت الحكم من مرحلة العفو إلى مرحلة المواجهة وفق ضوابط شرعية.

ويُستفاد من كلام الإمام الطبري في نقل قول قتادة، حيث صرّح بأن آية القتال ناسخة لما قبلها، مما يدل على وجود تدرّج تشريعي في الأحكام، وهو من أبرز أمثلة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

المثال الثاني: قال الإمام محمد بن جرير الطبرى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[٤]. ناقلًا عن قتادة: إن المسلمين كانوا في بداية الأمر يصلّون نحو بيت المقدس، وكان ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، ثم بعد الهجرة استمروا على ذلك قرابة ستة عشر شهرًا. وبعد ذلك أمرهم الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة البيت الحرام. ثم بيّن قتادة –رحمه الله– أن هذا الحكم لم يبقَ على حاله، بل نُسخ، فقال: إن الله تعالى نسخ ذلك في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾[٥]. ثم قال قتادة: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة[٦].

يفهم من هذا الأثر أن حكم التوجه في الصلاة كان في بداية الأمر مرتبطًا بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم استقر المسلمون على ذلك مدة من الزمن، غير أن هذا الحكم لم يبقَ على حاله، بل نُسخ بأمرٍ لاحقٍ من الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة المشرفة.

وقد كشف الإمام الطبري عن هذا المعنى من خلال نقل قول قتادة، حيث صرّح بأن آية تحويل القبلة نسخت الحكم السابق، مما يدل على التدرج التشريعي في الأحكام، ووضوح مفهوم النسخ في القرآن الكريم.كما يظهر أن الإمام محمد بن جرير الطبرى لم يقتصر على جمع الأقوال، بل سلك منهجًا دقيقًا في ربط الآيات بعضها ببعض، مما يدل على عمق نظره في دلالات القرآن الكريم.

---

١ سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٢ سورة التوبة، الآية: ٢٩.

٣ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢: ٥٠٣–٥٠٤.

٤ سورة البقرة، الآية: ١١٥.

٥ سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

٦ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢: ٥٢٩.

ويؤكد ذلك أن تفسير القرآن بالقرآن عنده ليس مجرد أسلوب عرضي، بل هو أصل منهجي يقوم عليه فهمه للنص القرآني. وهذا ما يجعل تفسيره من أبرز النماذج التطبيقية لهذا المنهج في التراث التفسيري.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

توصلت في نهاية البحث إلى النتائج الآتية:

١. يتبين من خلال تحليل مقدمة الإمام محمد بن جرير الطبري أنه اعتمد تفسير القرآن بالقرآن بوصفه أصلًا منهجيًا في فهم النص القرآني، ويتجلى ذلك في ربطه الآيات بعضها ببعض واستحضاره للآيات المفسِّرة في بيان المعنى ورفع الإشكال.

٢. يكشف نص مقدمة الطبري عن تأسيسه لجملة من الأصول التفسيرية التي يقوم عليها منهجه، وأهمها: المجمل والمفسر، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، مما يدل على إدراكه لوحدة البناء الدلالي للقرآن الكريم وترابطه الداخلي.

٣. يظهر أن تفسير القرآن عند الإمام الطبري يقوم على مبدأ التكامل النصي، حيث لا تُفهم بعض الآيات فهمًا تامًا إلا بردّها إلى آيات أخرى مبيِّنة، وهو ما يعكس طبيعة التفسير الداخلي للقرآن الكريم.

٤. تؤكد التطبيقات العملية في تفسير الطبري أن الأصول التفسيرية لم تبقَ في الإطار النظري، بل تحولت إلى ممارسة تفسيرية واضحة، اعتمد فيها على تفسير الآية بالآية في بيان المعاني ودفع الإشكالات الدلالية.

٥. يتضح أن توظيف الطبري لأصول المجمل والمفسر والعام والخاص والناسخ والمنسوخ يجعل تفسير القرآن بالقرآن أداة تفسيرية مركزية في منهجه، يُقدَّم بها النص القرآني في بيان معناه قبل غيره من المصادر.

٦. يكشف منهج الطبري عن توازن علمي بين الرواية عن السلف والتحليل اللغوي واستحضار السياق القرآني، مع الترجيح بين الأقوال التفسيرية، مما يعكس دقة منهجه وعمقه العلمي في التفسير.

٧. يتبين أن تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الطبري ليس أسلوبًا جزئيًا أو عارضًا، بل يمثل مكونًا أصيلًا في بنية تفسيره ومنهجه العام، ويُعد من أبرز سمات تفسيره في التراث التفسيري الإسلامي.

ثانيا: التوصيات:

١. يوصى بالعناية بدراسة منهج تفسير القرآن بالقرآن في تفاسير السلف، ولا سيما عند الإمام الطبري، لما له من أثر بارز في بيان دلالات النص القرآني.

٢. تشجيع الدراسات التطبيقية الموسعة في تفسير الطبري، مع التركيز على تتبع نماذج أكثر تنوعًا في توظيف تفسير القرآن بالقرآن عبر السور المختلفة.

٣. الدعوة إلى إجراء دراسات مقارنة بين منهج الطبري وغيره من المفسرين في توظيف تفسير القرآن بالقرآن، لإبراز الخصائص المنهجية لكل اتجاه.

٤. يوصى بالاستفادة من منهج تفسير القرآن بالقرآن في الدراسات التفسيرية المعاصرة بصورة منهجية نقدية، بما يعزز دقة الفهم القرآني.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. طبقات الفقهاء الشافعية، ط: ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، (د. ت).

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. التبيان في أقسام القرآن، (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، (د. ت).

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مقدمة في أصول التفسير، (د. ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م.

٤. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح البخاري، (د. ط)، مصر: المكتبة السلفية، (د. ت).

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. صحيح البخاري، ط: ٥، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٩٩٣م.

٦. الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط: ٣، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٨م.

٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. تاريخ بغداد، ط: ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م.

٨. الذهبي، محمد السيد حسين. التفسير والمفسرون، (د. ط)، القاهرة: مكتبة وهبة، (د. ت).

٩. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د. ت).

١٠. الزحيلي، محمد. الإمام الطبري، (د. ط)، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ.

١١. الزرقاني، محمد عبد العظيم، ط: ٣، مصر، مطبعة عيسى البابي وشركاه، (د. ت).

١٢. الزركشي، محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، ط: ١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

١٣. السريع، محمد بن سريع. التحبير شرح التمهير في أصول التفسير، ط: ١، الرياض: دار الحضارة، ٢٠٢٢م.

١٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، ط: ١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٥. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. الموافقات، ط: ١، بيروت: دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

١٦. شاكر، أحمد بن محمد. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (د. ط)، القاهرة: دار الوفاء، ٢٠٠٥م.

١٧. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٨. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (د. ط)، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، (د. ت).

١٩. الطوفي، سليمان بن عبد القوي. شرح مختصر الروضة، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

٢٠. قجوي، محمد. تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تاريخية نظرية، (د. ط)، الرباط: جامعة محمد الخامس، ٢٠١٥م.

٢١. القطان، مناع بن خليل. مباحث في علوم القرآن، ط: ٣، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٢٢. المطيري، محسن بن حامد. تفسير القرآن بالقرآن: تأصيل وتقويم، ط: ١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠١١م.